«فيما يكون به الملفوظ نصّاً» دراسة لسانيّة

د. زاهر بن مرهون بن خصيف الداؤدي

أستاذ مساعد، علم اللغة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة السلطان قابوس

ملخّص الدّراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى إيجاد الكيفية التي بها تترابط الأمثال بحيث تبدو متماسكة ممثّلة رسالة واحدة لها مضمون يتلقاه المتلقي فيفهمه ويتفاعل معه؛ ذلك أن النصّيين قد بحثوا الكيفيات التي تترابط بها النصوص، فوضعوا معايير بها عُرف التماسك في النص.

وستتّبع هذه الدراسة مدى تضافر أدوات الترابط النصّي في الأمثال العربية، برصد المثل وكيفية بنائه؛ إذ إن علاقة وثيقة يلحظها الباحث بين ترتيب الجمل في المثل وترتيب الأحداث فيه. وتتجاوز هذه العلاقة السياقات التركيبيّة إلى العلاقات بين القضايا التي يصحّ أن تعد من خصوصيّات النصّ: معلّلة، موضّحة، مخصّصة، مؤكّدة، مصحّحة، روابط السؤال / الجواب / الشرط. ذلك أنّه من المنطق أولاً أن تطبّق العلاقات القائمة بين الوحدات النحويّة على مستوى الدلالة «على أنها علاقات قائمة بين القضايا». وهي تصلح أن تكون أساساً لما يطالب به من علم دلالة الربط: وصل، إضافة، سببيّة، شرطيّة، تعاقبيّة، معيّة، ختاميّة، زمنيّة، كيفيّة، مقارنة، استدراكيّة؛ ذلك أن المثل قول قصير يمثل شكلاً يسترعي الانتباه، اشترطوا فيه أن يكون خالياً من كل تعقيد ليصل المقصود منه إلى ذهن السامع ، يُسَرُّ بطلاوته، ويمزج فكرته بهزل كلامه، وابتكار معانيه، ويضبط عقله في فهم الرواية المفترضة، وفض مشاكلها؛ فطابق أسلوبه إدراك السامع بادياً في صور شتى، من الرقّة والجزالة، أو السهولة حسب المعاني التي يؤدّيها، فتحرّى البساطة في صوغ عباراته، وجانب التعقيد، مع الاحتفاظ بسموه وقوته، متصلاً مع قانون التكوين المنطقي والنحوي للأسلوب. فتضافرت هذه القوانين لتصيغ ألفاظاً مشاكلة للمعاني، في الحسن والبهاء والقيمة، والمعاني موافقة للألفاظ في جمالها. وهي في ترابط تركيبها كالعقد النظيم، وقد صفتْ درره واتسقتْ أطرافه وتماسكتْ انحاؤه.

مقدّمة:

إنّ الأمثال العربية من أقدم الأشكال الفنيّة واللغويّة التي تحمل دلالات حضاريّة؛ فهي تعكس تطوّر أنماط الوعي المشترك والمعرفة المبتكرة، كما تعكس مشاعر المجتمع وانفعالاته في جمل مكثّفة. ونرمي في هذه الدراسة إلى إيجاد الكيفيّة التي بها تترابط الأمثال بحيث تبدو متماسكة ممثّلة رسالة واحدة لها مضمون يتلقاه المتلقي فيفهمه ويتفاعل معه؛ ذلك أن النصّيين قد بحثوا الكيفيات التي تترابط بها النصوص فوضعوا معايير بها عُرف التماسك في النص.

وسنتتبع في هذا البحث التماسك الدلاليّ في الأمثال«[1]» برصد المثل، وكيفية بنائه؛ إذ إنّ علاقة وثيقة يلحظها الباحث بين ترتيب الجمل في المثل وترتيب الأحداث فيه، ويتجاوز السياقات التركيبية إلى العلاقات بين القضايا التي يصحّ أن تعد من خصوصيات النصّ: معلّلة، موضّحة، مخصّصة، مؤكّدة، مصحّحة، روابط السؤال / الجواب / الشرط. ذلك أنّه من المنطق أوّلاً أن تطبّق العلاقات القائمة بين الوحدات النحويّة على مستوى الدلالة «على أنها علاقات قائمة بين القضايا»، وهي تصلح أن تكون أساساً لما يطالب به من علم دلالة الربط: وصل، وإضافة، وسببيّة، وشرطيّة، وتعاقبيّة، ومعيّة، وختاميّة، وزمنيّة، وكيفيّة، ومقارنة، واستدراكية«[2]». ذلك أن المثل«[3]» قول ذو لبّ وقصير، يمثّل شكلاً يسترعي الانتباه، اشترطوا فيه أن يكون خالياً من كل تعقيد ليصل المقصود منه إلى ذهن السامع، يسرّ بطلاوته، ويمزج فكرته بهزل كلامه وابتكار معانيه، ويضبط عقله في فهم الرواية المفترضة وفض مشاكلها«[4]».

فطابق أسلوبها إدراك السامع بادية في صور شتى من الرّقة والجزالة أو السهولة، حسب المعاني التي تؤديها، فتحرّت البساطة في صوغ عباراتها وجانبت التعقيد مع الاحتفاظ بسموها وقوتها، متّصلة مع قانون التكوين المنطقيّ والنحويّ للأسلوب، فتضافرت هذه القوانين لتصيغ ألفاظاً مشاكلة للمعاني في الحسن والبهاء والقيمة، والمعاني موافقة للألفاظ في جمالها. وهي في انسجام تركيبها كالعقد النظيم، وقد صفت درره، واتّسقت أطرافه، وتماسكت انحاؤه«[5]».

مفهوم الملفوظ:

إنّ مفهوم الملفوظ، في الدراسات اللسانية، قد أصبح له شأن خاص وآليات علميّة دقيقة في التعريف والتحديد، فظهرت اللسانيات التلفظيّة، ولسانيات التلفّظ«[6]»، ولسانيات الملفوظ، عوض الجملة. فقد رأى ديكرو أن الملفوظ هو الجملة، وقد زيد إليها المقام أو مقتضى الحال. وإنّما كان تطوّر مفهوم الملفوظ مع ديكرو – عبر إيجاد أو استنباط خصائصه، وهي «الاستقلاليّة، والترابط والانسجام، التنامي والحرية» – عبر اعتماده على نظريّة تعدّد الأصوات، فبعد أن كان الملفوظ مجرد صوت تلفّظي، أصبح قطعة من الخطاب«[7]».

وقد اعتبر الملفوظ وحدة مساوية للنص، أي متوالية لغوية منوطة بمقاصد نفس المتلفظ، والتي تشكل كياناً لنوع خطابي معين. وقد لخص آدم التقابل بين النص والملفوظ، وهو ما اعتمدت عليه اللسانيات النصية، يقول: "إن الملفوظ من حيث هو موضوع مادي وشفوي أو مكتوب وموضوع تجريبي قابل للمشاهدة والوصف، ليس بالنص الذي هو موضوع

مجرد، والذي يجب النظر إليه في إطار نظرية تفسيرية لبنيته المعمارية «[٨]».

وحسب تعريف موشلار وريبول فإن الخطاب متكون من مجموعة من الملافيظ التي يوجد بينها رابط، وهذا الرابط متعدد الأنواع: موضوعي، ومرجعي، وقضوي، وحجاجي، مما يدل على أن كل مجموعة من الملافيظ يجمع بينها علاقة موضوعية ومرجعية وقضوية وحجاجية إنما هي خطاب، فالملافيظ المجتمعة دون هذه العلاقات والروابط لا تعتبر خطابا، وإن اجتمعت فإنها فاقدة لمفهوم أساسي غير كاف من مقومات الخطاب وخصائصه وهو الانسجام الذي يلح علماء تحليل الخطاب على وجوب وجوده في الخطاب «[٩]».

إن هذه العلاقات والروابط، كفيلة بجعل الملفوظ نصا، أيا كان نوعه، وتتفق هذه العلاقات مع اقتراحات النصيين في مفاهيم التوجيه لنظرية نصية لغوية مؤسسة على تحليل التواصل؛ ذلك أن أفعال الكلام «التلفظ» وحدات أساسية للتواصل اللغوي.

النصّ:«[١٠]»

إن دراسة النص من حيث هو بنية مجردة، وإهمال مقاميه – المقالي والمقامي – ومضمونه وتاريخه، لم تعد طريقة مرضية عند كثير من لسانيي النص، فقد وجدوا أن إهمال ما يحيط بالنص نفسياً واجتماعياً وتداولياً، والاقتصار على بحث ما يكون به الملفوظ نصا، يمنعه من توظيف معرفته بالعالم واستخدام أدواتها في الكشف عن درجات التماسك النصي«[١١]».

وفي ضوء التصورات التي طورتها طرق البحث النصي والتداخل المعرفي فيه، فقد نظر علماء النص إلى النص على أنه وحدة كلية مترابطة الأجزاء أو بنية معقدة متشابكة، مكتفية بذاتها دلاليا، فيتحقق التماسك بين عناصرها المضمونية والائتلاف أو الترابط بين عناصرها الشكلية«[١٢]».

وقد اقترح دي بوجراند لفهم النص وإنتاجه واستعماله سبعة معايير، وجعلها محطات يمر عليها الباحث النصي بالنص كي يتأكد من نصيته، ولا يشترط تحققها جميعاً في نص ما حتى يكون النص نصا، وإنما يمثل بعضها مقتضيات تكميلية ليكون النص صيغة لغوية منجزة تامة الإنجاز من تعيين للهدف والفائدة، والحلول في السياق المقامي، وهذه المعايير، هي«[١٣]»:

الاتساق أو الترابط النحوي والمعجمي أو الحبك: وهي ترابط العناصر السطحية التي تحقق الترابط الرصفي، وتشمل وسائل التضام النحوية.

الانسجام أو الالتحام أو السبك: وتشمل عناصر المعرفة اللازمة لإيجاد الترابط المفهومي مثل العناصر المنطقية، وتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع الموضوع.

النية أو القصد: وهي أن يكون تتالي النص خاضعاً لقصد المتكلم وغايته.

القبول: وتتضمن موقف متلقي النص واستعداده لقبوله نصا.

المقامية ومراعاة الموقف: وتشمل العوامل التي تجعل النص مرتبطاً بموقف.

الإفادة أو الإعلامية: وهي العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية، أو الوقائع في عالم نصي، في مقابلة البدائل الممكنة.

التناص: ويتضمن العلاقات بين النص ونصوص أخرى مرتبطة به.

وستركز هذه الدراسة على الاتساق والانسجام في بيان نصيّة الأمثال العربية؛ ذلك أن بوجراند يرى أن أكثر هذه المعايير صلة بالنص هما الاتساق والانسجام، فالأول ربط بين علامات لغوية، والثاني ربط بين تصورات عالم النص. أما التناص ورعاية الموقف فهما عاملان نفسيان، والإعلامية فبحسب التقدير«[١٤]».

سياق النصّ: «[١٥]»

ممّا هو معلوم أن لكل مثل موضوعاً رئيساً يدور حوله، فلا يخلو من فكرة يريد تبليغها للسامع؛ لذا عُمد إلى بناء جزئياته رابطاً بعضها ببعض بروابط دلاليّة وشكليّة؛ فالروابط الدلاليّة تتمّ على مستوى البنية العميقة للنصّ أي على مستوى التصوّرات والمفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم؛ فالأمثال ليست مركّباً بسيطاً وإنما هي قضيّة تصدر بشأنها دعوى معينة«[١٦]».

ومما لا شك فيه أنّ لسياق«[١٧]» المثل «معرفة مناسبته» دوراً في معرفة موضوع النص وربطه ربطاً دلالياً؛ فمعرفة المناسبة أمر أساسيّ في بناء تماسكه دلالياً؛ ذلك أن المثل ينبثق عن تجربة بلا تكلف أو تصنّع يمليه الواقع في الحياة، فيستعمله كل من يمرّ بنفس التجربة تعبيراً عن موقفه في مناسبة معينة أو إبرازاً لفكرة أو شعور يمتلكانه«[١٨]».

فالأمثال ترتبط بقصّة معينة قيل على أثرها هذا المثل، ولا بد أن تقال في سياق يشاكل السياق الذي قيلت فيه، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

- «رُبَّ عجلة تهبُ ريثا»«[١٩]».

فقد قيل هذا المثل على لسان أبي زيد عندما شَامَ سِنَانُ بن مالك بن أبي عمرو بن عوف بن محلم غيماً؛ فأراد أن يرحل بامرأته خُماعة بنت عوف بن أبي عمرو؛ فقال له مالك: أين تظعن يا أخي؟ قال: أطلب موقع هذه السحابة، قال: لا تفعل فإنه ربما خَيَّلَت، وليس فيها قَطْر، وأنا أخاف عليك بعض مقانب العرب، قال: لكني لست أخاف ذلك، فمضى، وعرض له مروان القرظ بن زنباع بن حذيفة العبسي فأعجله عنها وانطلق بها، وجعلها بين بناته وأخواته، ولم يكشف لها سترا؛ فقال مالك بن عوف لسنان: ما فعلت أختي؟ قال: نفتني عنها الرماح، فقال مالك: رُبَّ عجلة تهب ريثا، ورب فروقة يدعى ليثا، ورب غيث لم يكن غيثا.

« إنك بعد في العزاز فقم»«[٢٠]».

وقد قيل على لسان عبيدالله بن عبدالله بن مسعود إذ كان الأزهري يخدمه، وذكر جهده في الخدمة؛ فاستنطق ما عنده، فلما خرج لم يقم له، ولم يظهر له ما كان يظهره من قبل؛ فنظر إليه عبيدالله وقال له: إنك بعد في العزاز فقم؛ أي أنت في الطرف من العلم لم تتوسطه بعد.

وقد استعمل لكل من لم يتقصّ الأمر ويظن أنّه قد تقصّاه.

وقد ارتبطت بهذين المثلين قصّة، كما ارتبطت بكل مثل من الأمثال قصّة أخرى تتبادر في الأذهان عند ذكر المثل؛ منه على سبيل المثال: «على نفسها تجني براقش»«[٢١]»، «عند جهينة الخبر اليقين» «[٢٢]»، «لا في العير ولا في النفير»«[٢٣]»، «لا ناقتي في هذا ولا جملي»«[٢٤]» إلى غير ذلك.

فسياق المثل أو القصّة المرتبطة به قد ساهمت في بيان الجانب الدلاليّ ووضوحه، إلا أنّه ممّا لا شك فيه أن هناك عوامل أخرى قد تضافرت في بيان هذا الجانب، وتتمثّل هذه العوامل

في الجوانب الشكليّة. ويمكن توضيح مدى تضافر هذه الجوانب في بيان الجانب الدلاليّ وتوضيحه.

الجوانب الشكليّة:

نعلم أن المثل لا بد أن يكون ممتازاً ظاهراً سواء أكان قريباً سهلاً، كقول الطغرائي:

ومن يستعن بالصبر نال مراده

ولو بعد حين إنه خير مسعد

وقول بعضهم: «عظ الناس بفعلك، ولا تعظهم بقولك»، أم كان لطيفاً دقيقاً مخترعاً يلفت النظر ويحتاج إلى أناة كقولهم: «أخلاقك تجعل العدو صديقاً، وأحكامك تجعل الصديق عدواً»[٢٥].

فقد توفّرت لكل من هذه الأمثال عوامل عدة جعلت أفكارها مألوفة تستطيع أداء أفكارها، على الرغم من معانيها العميقة القائمة على التحليل الدقيق والملاحظة البعيدة. فبموجب مبدأ البنية المكوّنة للنص تتألف الوحدات اللغوية الكبرى من وحدات لغوية صغرى؛ فأي جزء من الكلام هو – بنيوياً – مؤلّف على أكثر من مستوى، تتكامل عناصر هذه المستويات في خدمة القدرة اللغويّة التي بواسطتها نقوى على توليد الجمل، أيّاً كانت، كما نقوى على فهمها[٢٦]. وبذلك فإنه لا يمكننا الاقتراب من النصّ إلا من خلال هذه المستويات التي تكشف عن جماليته، والتي من الصعب الفصل بينها في إحداث التأثير في المخاطب وتوصيل الرسالة.

التكرار:

وهو شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصر مطلق أو اسم عام[٢٧]، وللتكرار دور في بناء النصّ؛ ذلك أن العناصر المكرّرة تحافظ على بنية النصّ وتماسكه، وتخدم الجانب الدلاليّ والتداوليّ فيه؛ لأن تكثيف المفردات أو شبهها بالتكرار يعني بناء الخطاب وإعادة تأكيده بهذا الأسلوب اللغوي[٢٨].

فإذا عدنا إلى قولهم: «أخلاقك تجعل العدو صديقاً، وأحكامك تجعل الصديق عدواً» نجد أنهم عمدوا إلى تكرير لفظين اعتماداً على تحويل علاقات الإسناد: «صديق» و«عدو»، وكرر لفظ مع إبقاء الإسناد مثلما هو عليه« تجعل»، وتكرار آخر تمثل بالعموم والخصوص.

فإذا عدنا إلى اللفظين اللذين كررا اعتماداً على تحويل العلاقات الإسنادية وجدنا أن المرسل استطاع بهذه العملية أن ينشئ لنا بعداً دلالياً آخر يختلف عن البعد الدلالي الذي فهم في الجملة الأولى؛ فأنشأ موضوعاً آخر مرتبطاً بالموضوع السابق من خلال هذا التحويل فبعد أن كان «العدو» مفعولاً به أول أصبح مفعولاً به ثانياً، ولو ظل مثلما هو عليه في الجملة الأولى لما أضاف إلى النص بنية دلالية أخرى.

أما التكرار التام مع وحدة المرجع دون تحويل للعلاقات الإسنادية في الجملة «جعل» وهو فعل من أفعال التحويل والصيرورة، فقد اقتضى تكراره على هذه الحال سياق الجملة السابقة، وتكرار هذا الفعل يتضافر وتكرار الاسم العام «أخلاق» فقد لجأ إلى تكرار هذا الاسم بصيغة أخرى «أحكام»؛ فالأحكام جزء من الأخلاق، فالأخلاق عامة إذ لا نستطيع أن نطبق الأحكام إلا إذا تحلينا بالخلق الحسن وإلا لضاعت الحقوق وتفشّت الفتن، وضاع المقصد الذي

جاء من أجله النص، لذا كان لا بد للمرسل من أن يلجأ إلى التكرار بصياغة أخرى تفيد النص ويكرر معها لفظ «تجعل» لتخدم الموضوع الجديد.

ويتضح لنا من هذا المثل أن التكرار لا يأتي هكذا جزافاً؛ أي أن المرسل لا يكرر ما شاء أن يكرره من النص تكراراً تاماً أو تكراراً جزئياً، ذلك أن الموضوع المطروح هو الذي يفرض العناصر التي يجب أن تكرر تكراراً تاماً وتكراراً جزئياً؛ فالموضوع في المثال السابق كيف يصير العدو صديقاً والصديق عدوا؛ ففرض علينا هذا الموضوع أن نكرر الفعل «جعل» تكراراً تاماً، ونكرر « العدو، الصديق» تكراراً تاماً؛ إذ لو لم نكررهما لالتبس علينا الأمر.

أما بالنسبة للتكرار مع العموم «أخلاقك، أحكامك» فلو كررها المرسل تكراراً تاماً في أخلاق لما خدمت المعنى، فأنىّ للأخلاق أن تجعل العدو صديقاً والصديق عدواً، لذا لجأ إلى تكرارها بلفظ آخر أخص منها «الأحكام» ليجعل الصديق عدوا.

ولنا أن نتبين هذه الفرضية أكثر بالمثال التالي:

– عظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك.

فالموضوع في هذا المثال الطريقة الأمثل في وعظ الناس والأخذ بأيديهم؛ وقد استدعى هذا الموضوع أن يكرر الفعل «عظ» تكراراً تاماً ليبني موضوعاً جديداً مؤكداً هذا الموضوع بهذا الأسلوب اللغوي ثم يكرر الناس بالاعتماد على الضمير العائد على الناس، كما يكرر الضمير العائد على المخاطب، وهو الكاف معطياً بذلك إيقاعاً معيناً للنص، وقد تضافر مع هذا التكرار التكرار الجزئي للفعل والقول «لك» رابطاً بين الموضوع الأول والموضوع الثاني بالتكرار بأنواعه المختلفة ربطاً صوتياً دلالياً.

وقد فرضت طبيعة النص على المرسل أن يلجأ إلى الضمير العائد إلى الناس، دون أن يلجأ إلى تكرار الناس تكراراً تاماً؛ ذلك أن هذا النص يخلو من اللبس والتعقيد، ويتضح لنا ذلك بمقابلة هذا المثل بالمثل السابق؛ فـ «الناس» اسم جنس يدل على عموم الناس وخاصتهم، مثلها مثل «الصديق، والعدو» إلا أن طبيعة السياق اللغوي، في المثل الأول اختلفت عن طبيعته في المثل الثاني، ففي المثل الأول سيختلف حال الإسناد إلى الصديق والعدو، بينما بقي الإسناد إلى الناس في المثل الثاني مثلما هو عليه، فالوعظ في الجملة هو الوعظ في الجملة الثانية، إلا أن طريقة الوعظ هي التي اختلفت فقط.

و ينطبق هذا التحليل على عدد من الأمثال، منها:

– لا تنه عن خلق وتأتي مثله.

وينشد في هذا المعنى:

إذا عِبْتَ أمراً فلا تأته

فذوا اللبِّ مجتنب ما يعيبْ«[٢٩]».

– أن أصبح عند رأس الأمر أحب إلي من أن أصبح عند ذنبه.

– قصّر كلامك تسلم، وأطل احتشامك تكرم، فمن قال بلا احترام أجيب بلا احتشام، ومن قال ما لا ينبغي سمع ما لا يشتهي.

ويمكننا أن نستدل على هذه النظرية بالأمثال القرآنية «الأمثال التي وردت في القرآن الكريم»، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير﴾« [٣٠] ».

تُظهر هذه الآية حقيقة ما أصاب المسلمين يوم

أحد بأنه من أنفسهم ذلك أن مصيبة المسلمين يوم أحد كانت مقتل سبعين رجلاً، بينما كانت مصيبة المشركين يوم «بدر» مقتل سبعين وأسر سبعين آخرين، أي مثلي المصيبة التي أصابت المسلمين، ويوم «أحد» قال بعض المسلمين: كيف يحصل لنا هذا وفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يتلقى الوحي من الله تعالى، ونحن نجاهد في سبيل مرضاته؟ فيوجه سبحانه وتعالى نبيه الكريم ليقول لهم: إنما هو من عند أنفسكم وليس من عند الله تعالى راداً سبب المصيبة إلى مخالفة الرماة منهم لأوامر الرسول الكريم عليه السلام التي كانت تقضي بملازمة الرماة لأماكنهم أياً يكن سير المعركة، ولكنهم أهملوا هذه الأوامر واندفعوا وراء المغانم والمكاسب العاجلة؛ فالتف من ورائهم الكفار وأوقعوا بهم الهزيمة المادية بعد أن كان النصر محققاً للمسلمين في بداية المعركة«٣١».

فسياق النص في هذه الآية ورد إجابة على سؤال المسلمين في سبب حصول المصيبة التي ألمت بهم، فاقتضى النص تكرار الجذر «ص. ي. ب».

أما التكرار الجزئي للعنصر المعجمي فله دور في تماسك المثل على صعيدين صوتي ودلالي؛ ذلك أن التماسك الصوتي يكون بتكرار حروف معينة تخلق إيقاعاً معيناً في النص مما يُسَهِّلُ على المتلقي عملية استدعاء الألفاظ. ويتحقق التماسك الدلالي للتكرار الجزئي من ارتباط مفاهيم الوحدات النصية المكونة للنص بعضها ببعض؛ ذلك أنه يشير إشارة خالصة إلى عموم الترابط المفهومي، ويشير دريسلر إلى أن هذا النوع من إعادة اللفظ يعطي منتج النص القدرة على خلق صور لغوية جديدة؛ لأن أحد العنصرين المكررين قد يُسَهِّل فهم الآخر.

ومن الأمثال التي اتكأت على هذا النوع من التكرار:

- أقبح العي الضجر، وأسوأ القول الهدر، فلا تضجر في جدالك، ولا تكثر في مقالك«٣٢».
- ارحم عباد الله يرحمك الله«٣٣».

فقد أدى تكرار الجذر « ض. ج. ر» تكراراً تاماً دوراً في بيان الرسالة التي أراد المرسل أن يبثّها إلى المتلقي بدعوته إلى الصبر وعدم الضجر، كما أن التكرار التام مع اختلاف وحدة المرجع في «الهدر، الكلام» أدى إلى بيان هذه الدعوة. وأدى تكرار الجذر «ر. ح. م» دوراً في بيان السبب الذي يستحق بها الإنسان رحمة الله تعالى، وهو أن يرحم الإنسان عباد الله؛ فإذا كنت رحيماً بعباد الله رحمك الله، وإذا كنت شديداً عليهم عاقبك الله.

- تكرار الصيغة التركيبية / التوازي:

ويقصد بالتوازي«٣٤» الجمل المتتالية المتساوية المتفقة في البناء النحوي اتفاقاً تاماً، ويعد نحو النص ظاهرة الجمل المتوازية وسيلة من وسائل الربط النحوي الشكلي أو الظاهري داخل النص.

إن تكرار الصيغ التركيبية مما يلجأ إليه مرسل المثل بغية خلق التماسك النصي في الرسالة المبثوثة؛ ذلك أن المرسل يلجأ إليه لتحقيق هدفين أساسيين:

الأول: خلق إيقاع موسيقي داخل النص؛ ليسهل بقاء الرسالة في ذهن المتلقي مدة أطول.

الثاني: تحقيق تماسك النص صوتياً ودلالياً.

ومن الأمثال التي اعتمدت على تكرار الصيغ التركيبية:

- القناعة غنى المعسر، والصداقة كنز الموسر«٣٥».
- قَصِّر كلامك تسلم، وأطل احتشامك تكرم،

فمن قال بلا احترام أجيب بلا احتشام، ومن قال ما لا ينبغي سمع ما لا يشتهي»[٣٦].

- قلة العلم تضعف الحجج، وقلة العقل تتلف المهج»[٣٧].
- كلام كالعسل، وفعل كالأسل»[٣٨].
- كلام ليِّن، وظلم بينٌ»[٣٩].
- لا في العير، ولا في النفير»[٤٠].
- لا ناقتي في هذا، ولا جملي»[٤١].

ففي الأمثال السابقة نجد التكرارات التركيبية التالية:

- مبتدأ + خبر + مضاف إليه.
- مبتدأ + مضاف إليه + خبر «فعل ماض + فاعل ضمير مستتر + مفعول به».
- خبر + جار ومجرور.
- مبتدأ + خبر.
- لا النافية + جار ومجرور.
- فعل + حرف + لا النافية + اسم.
- فعل + ما + لا النافية + فعل.

ولتقريب الدور الدلالي لتكرار الصيغ التركيبية نقف عند المثل الآتي:

أخلاقك تجعل العدو صديقاً، وأحكامك تجعل الصديق عدوا»[٤٢].

فحتى يتضح الجانب الدلالي في هذا المثل كرر المرسل الصيغ التركيبية في الموضوع الأول وهو: كيف يصير العدو صديقاً، إذ لولا الجانب الدلالي لاستطاع المرسل أن يقول التالي: أخلاقك تجعل العدو صديقاً وأحكامك تجعله عدوا. وهذا ما لم يرده المرسل؛ لأن الجانب الدلالي اختلف عن الجانب الدلالي الأول، فالجانب الدلالي في المثل بصورته الطبيعية تشير إلى أن الصديق المقرب إليك سواء أكان صديقاً مقرباً منذ البداية أم كان صديقاً مقرباً بعد تحوله من العداوة؛ أي أصبح صديقك بعد تحقق الأخلاق.

أما الدلالة الثانية «أخلاقك تجعل العدو صديقاً، وأحكامك تجعله عدواً» فإنها تحدث لبساً لا نستطيع إزالته إلا بتكرار الصيغ التركيبية؛ ذلك أن الدلالة الثانية توحي بالآتي أن الأحكام تجعل العدو عدواً أي يزيد في عداوته، وهذا ما لم يرده المرسل، أو أنها توحي بأن الأحكام تجعل الصديق الذي كان عدواً سابقاً عدواً مرة أخرى، وهذا ما لم يرده المرسل أيضاً، فقد أراد الدلالة الأولى التي أشرنا إليها سابقاً «الصديق المقرب إليك مهما كانت صداقته سواء أكان عدواً سابقاً أم لم يكن».

فهذا المثل قائم على تكرار الصيغ التركيبية التالية:

المبتدأ + المضاف إليه + الفعل المضارع + الفاعل المستتر + المفعول الأول + المفعول الثاني.

ويمكننا أن نوضح ذلك بالشكل الآتي:

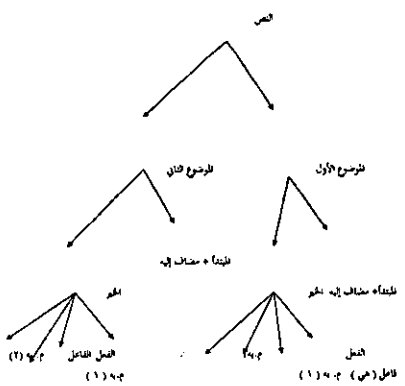

ويرتبط التوازي بما يعتري الجمل المتوازية من ظواهر تركيبية؛ كالحذف والزيادة والتقديم والتأخير، فتتوازى الجمل في هذه العناصر كذلك، وهذا بطبيعته يحقق للجمل المتوازية درجة أعلى من التماسك النصي، من ذلك:

ثمرة التفريط الندامة، وثمرة الحزم السلامة.

من يزرع خيراً يحصد غبطة، ومن يزرع شراً يحصد ندامة«[٤٣]».

أقلل الكلام تأمن الملام، وأحسن العشرة تكف العذرة«[٤٤]».

فنلاحظ أن المرسل قد قدّم الخبر في المثال الأول، وأصل القول «الندامة ثمرة التفريط، والسلامة ثمرة الحزم» فالجانب الدلالي قاد المرسل إلى تقديم الخبر، كما قاده إلى التكرار والتوازي، فقد أراد المرسل أن يخبر عن الثمرة التي تجنى بالتفريط، والثمرة التي تجنى بالحزم، فقدم الخبر، وكرر لفظ «ثمرة» تكراراً تاماً؛ لأنها أساس الحديث وجوهره، وبما أنها أساس الحديث وجوهره فكان وجوباً عليه أن يبني الموضوع الثاني نفس البناء الأول تقديماً وتأخيراً.

أما المثال الثالث فهو مثال كاف لنتبين فيه مسألة الحذف ومسألة الزيادة، فقد حذف المرسل في النص فاعل كل من الأفعال «أقلل، تأمن» وفاعل كل من الأفعال «أحسن، تكف»، أما مسألة الزيادة فقد اضطر المرسل إلى أن يأتي باللفظ الأول على صيغة أفعل «أقلل» على الرغم من أنه لو قال قلل الكلام لما أخطأ في قوله ولكان هناك توازيا أيضاً إذ إن لفظ «قلل» فعل مثلما لفظ أقلل فعل فهناك توازٍ في البنية، إلا أنه ليتناسب مع اللفظ في الموضوع الثاني وليسير على نفس الوزن لجأ المرسل إلى استخدام اللفظ أقلل على وزن أفعل ليكون التوازي توازٍ في البنية النحوية والصرفية، لتتناسب والإيقاع الصوتي.

وقد تختلف الجملتان المتوازيتان اختلافاً بسيطاً؛ فقد يكون بزيادة حرف العطف بين الجمل المتوازية، وهو نوع من أنواع الروابط الشكلية أيضاً إلا أنه يتضافر مع الجانب الدلالي، في بيانه، كما تتضافر الأدوات الرابطة بين التوازي والجانب الدلالي في أن توازي المعاني هو الذي يوجه المرسل إلى توازي المباني، فالمرسل يود تأكيد البعد الدلالي في الجمل السابقة، ويتضح ذلك في الأمثلة الآتية:

أقبح العي الضجر، وأسوأ القول الهدر، فلا تضجر في جدالك، ولا تكثر في مقالك«[٤٥]».

أقلل الكلام تأمن الملام، وأحسن العشرة تكف العذرة«[٤٦]».

قصر كلامك تسلم، وأطل احتشامك تكرم، فمن قال بلا احترام أجيب بلا احتشام، ومن قال ما لا ينبغي سمع ما لا يشتهي«[٤٧]».

إذا كويت فأنضج، وإذا مضغت فأدقق.

إذا ضربت فأوجع، وإذا زجرت فأسمع.

فقد أضاف المرسل الواو العاطفة في الجملة الثانية ليربط بينها وبين الجملة السابقة، كما أنه يربط بين الجملة الثالثة والجملة الرابعة بالواو، على الرغم من أن الجملة الثالثة ربطت مع الجمل السابقة بالفاء لتكون نتيجة للكلام السابق، أما الجملة الرابعة فقد عطفت بالواو على الجملة الثالثة؛ لأنه لو ربط بينها وبين الثالثة بالفاء مرة أخرى لما ترابط النص دلالياً على الرغم من ترابطه شكلياً. وهذا ينطبق على الجمل الأخرى.

ويمكننا أن نؤكد البعد الدلالي بالمثالين الأخيرين، إذ يشير المثال الأول إلى جودة العمل وإتقانه، وقد تحقق هذا المطلب بالتأكيد

عليه بتوازي الجمل في النص. أما المثال الثاني فيشير إلى الشدة والصرامة في الأمور، وقد تبين ذلك بالإيجاع في الضرب، والإسماع في الزجر.

ويرتبط توازي الأمثال في أحيان أخرى بالتقابل الدلالي، وقد أدى ذلك أيضاً إلى تأكيد الفكرة بذكر الشيء وضده؛ فالتقابل يؤكد الصورة ويوضحها، ويتضح ذلك من خلال الأمثلة الآتية:

إن أعطيت فأجزل، وإن منعت فأجمل«٤٨».

ثمرة التفريط الندامة، وثمرة الحزم السلامة«٤٩».

من يزرع خيراً يحصد غبطة، ومن يزرع شراً يحصد ندامة«٥٠».

فالمرسل في الأمثال السابقة يحمل صورتين متقابلتين أراد من خلال هذا التقابل أن يؤكد على فكرة معينة فأراد أن يبثها للمتلقي بهذه الصورة، ففكرة المثال الأول تشير إلى ضرورة المعاملة الحسنة في حالة العطاء والمنع، أما المثال الثاني فيحثنا على ضرورة الحزم والتريث، أما المثال الثالث فيحثنا على عمل الخير، والابتعاد عن الشر، فعلى الرغم من أن المرسل لم يقل بهذه الفكرة مباشرة إلا أننا وصلنا إليها من خلال النتائج التي عرضها لنا فهو يبين لنا الشيء وضده والنتائج المترتبة على الأمرين كليهما.

ويمكننا أن نضيف شبه التكرار إلى ما سبق ذكره من أنواع التكرار؛ وهو تكرار يقوم في جوهره على التوهم؛ إذ تفتقد فيه العناصر علاقة التكرار المحض كما تفتقد العلاقة الصرفية القائمة على الاشتقاق أو تغاير صرفيمات الإعراب.

ويتحقق شبه التكرار غالباً في مستوى التشكيل الصوتي، وقد ورد في الأمثال بشكل واضح وملحوظ، من ذلك:

لا في العير ولا في النفير«٥١».

عظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك«٥٢».

قصّر كلامك تسلم، وأطل احتشامك تكرم، فمن قال بلا احترام أجيب بلا احتشام، ومن قال ما لا ينبغي سمع ما لا يشتهي«٥٣».

أقبح العي الضجر، وأسوأ القول الهدر، فلا تضجر في جدالك، ولا تكثر في مقالك«٥٤».

كلام كالعسل، وفعل كالأسل«٥٥».

كلام ليّن، وظلم بيّن«٥٦».

فقد استطاع هذا النوع من التكرار أن يربط النص ربطاً صوتياً بما يشكّله من إيقاعات مختلفة، فتظل الرسالة المبثوثة في ذهن المتلقي مدة أطول عند سماعه لهذا النوع من التكرار، ثم إن التضافر بين هذا النوع من التكرار والجانب الدلالي واضح لا محالة؛ فقد شكّل تكرار الصوت ظاهرة مميزة، خاصة في أواخر الفواصل، فساهم في البناء الدلالي للنص، للصلة القائمة بين الصوت وما يدلّ عليه، أو بين الرمز ودلالته في ذهن المتكلم وذهن المخاطب، والذي اعتمد على مبدأ الاختيار، والميل إلى أصوات دون غيرها؛ فانتقى لذلك ألفاظاً تساعد حروفها على التواصل والالتقاء نتيجة انسجام هذه الحروف وتلاؤمها من الناحية الصوتية، وهذا التآلف والتناسق هو الذي يجعل اللفظ سهلاً على اللسان من جهة، وعلى السمع من جهة أخرى، وقد سمى الجاحظ هذه الخاصية «القران» وهي ترتبط ببنية اللفظ الصوتية التي تتمثل في انسجام الأصوات المكوّنة له وتآلفها«٥٧»، يقول الجاحظ: «قيل لعبد الصمد بن الفضل ابن عيسى الرقاشي لِم تؤثر السجع على المنثور، وتلزم نفسك القوافي وإقامة الوزن؟

قال: إن كلامي لو كنت لا آمل فيه إلا سماع الشاهد لقل خلافي عليك، ولكنني أريد الغائب والحاضر، والراهن والغابر؛ فالحفظ إليه أسرع والآذان لسماعه أنشط، وهو أحق بالتقييد وبقلة التفلت»«[٥٨]».

وربط ابن جني بين حفظ المثل واستعماله في باب الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني، أنه قال: «ألا ترى أن المثل إذا كان مسجوعاً لذ لسامعه فحفظه، فإذا هو حفظه كان جديراً باستعماله، ولو لم يكن مسجوعاً لم تأنس النفس به، ولا أنقت لمستمعه، وإذا كان كذلك لم تحفظه، وإذا لم تحفظه لم تطالب أنفسها باستعمال ما وضع له وجيء به من أجله»«[٥٩]».

ولنتبين ذلك نحلل المثال التالي:

قصر كلامك تسلم، وأطل احتشامك تكرم، فمن قال بلا احترام أجيب بلا احتشام، ومن قال ما لا ينبغي سمع ما لا يشتهي.

فيتضح شبه التكرار أو ما يطلق عليه بالسجع في «صوت الميم» في «تسلم و تكرم»، كما يتضح في «تكرار صوتي الألف والميم» في «احترام واحتشام»، ويتضح في «تكرار صوت الياء» في «ينبغي، ويشتهي».

فالعلاقة قائمة على السبب والنتيجة؛ فلن ينزه الإنسان إلا إذا أطال احتشامه، ولن يسلم إلا إذا قصر كلامه، فبين تسلم وتكرم تقارب دلالي يتضح في الرفعة والسمو، فإذا قصر الإنسان كلامه سلم من الكلام المنبوذ، وإذا أطال احتشامه نُزِّهَ وعُفِّفَ وكُرِّمَ.

ويتضح هذا التقارب في احترام واحتشام، وفي ينبغي ويشتهي، فالاحتشام لن يتحقق إلا إذا تحقق الاحترام، كما أن الإنسان لن يطلب إلا ما يشتهيه، فلا يعقل أن يطلب شيئاً لم يشتهه، فهذه مطالب قائمة على سبب ونتيجة.

وقد اتسمت الفواصل المكوّنة للأمثال بخاصية الوقف والسكون، وقد جاء فصيحاً بعيداً عن التنافر والتماثل اللذين يؤديان إلى اللبس والغموض معتمداً على مبدأ التخالف الذي يحقق التناسب بين المعاني المتخالفة ويعطي الخطاب أبعاداً جمالية تحقق التواصل.

ويمكننا القول بعد ذلك أن للتكرار دوراً أساسياً في تماسك النص، وأن المرسل يقصد إليه قصداً بغية تصعيد الدلالة النصية وخلق تماسك بين الموضوعات الواردة في المثل؛ وكأنه ينبه المتلقي إلى علاقة الموضوع السابق بلاحقه، فلا يتفكك المثل في ذهن المتلقي بل يتمكن من ربط أحداثه وقضاياه بعضها ببعض.

وهذا يوضح أن الصوت لن يؤدي دوره المنوط به إلا ضمن سياق تركيبي، على الرغم من أن لكل كلمة مفردة صوتاً فعلياً يساهم في تحديد دلالتها، فإن الكلمة إذا ما ركبت مع كلمات أخرى أنتجت مجموعة من الأصوات توجه معنى النص، ضمن السياق في نظام تركيبي وترتيبي للجمل. ومن هنا يصبح ما نبه عليه ريني وليك أمراً مهماً. يقول «لقد حلل اللغويون المحدثون الأصوات الكامنة على أنها عناصر أولى ذات دلالة كما أن بإمكانهم أن يحللوا أيضاً الوحدات الصوتية المعنوية الأولى، والوحدات النحوية؛ فالجملة مثلاً لا توصف فقط بأنها نطق مقصور على غرض معين، بل إنها طراز ترتيب الكلام. ولا شك أن الأمثال قد ربطت بين أصوات نصوصها وبين تراكيبها وبين معانيها»«[٦٠]».

المصاحبة المعجميّة:

تعتمد المصاحبة المعجميّة على علاقات رابطة تربط بين أزواج المثل؛ فهناك التضاد،

والمخالفة، وعلاقة الكل للجزء، أو الجزء للكل، وعلاقة الاشتمال؛ أي الانـدراج في صنف عام.

تنطلق تقنية المقابلة - على سبيل المثال - في الأمثال بشكل خاص، وفي النصوص بشكل عام من رؤية خاصة؛ ففي قولنا «أخلاقك تجعل العدو صديقا وأحكامك تجعل الصديق عدوا» لا يمكن أن يكون العدو صديقاً إلا في أحوال معينة منها أنك تحسن التصرف إليه، فيرى منك حسن المعاملة؛ هذه حالة، إلا أنه لا يمكن في المقابل أن يكون الصديق عدواً إلا إذا أسأت إليه، ولعل الإسـاءة تكون بتشديد الأحكام والعمل بما يوجبه منا الإسـلام والشريعة الغـراء، وقـد لجأ المخاطب «المرسل» إلى هذه التقنية ليبرز الوجه الحقيقي للدور الذي تؤديه الأفعال والأحكام في الصديق والعدو، كما أفاد بهذه التقنية في جعل النص واحـداً متماسكاً يرتبط كلُّ جزء منه بتاليه، وقد اقتضى الموضوع الأساسي للنص الاعتماد على هذه التقنية، فيستحيل مثلما ذكرنا أن يكون العدو صديقا، والصديق عدوا في الوقت نفسه، إذ كلاهما نقيض للآخر؛ فوظف المرسل هذه التقنية للكشف عن الـدلالـة الكبرى للنص مما يوحي إلينا أن الاحتكاك بين المتناقضات يوظف للكشف عن الدلالة الكبرى للنص«٦١».

ويتبين لنا ذلك من خلال المثال التالي:

- « عظ الناس بفعلك، ولا تعظهم بقولك«٦٢» ».

فقد فرض الجانب الدلالي على المرسل أن يذكر الجانب السلبي للوعظ، ليبين للمخاطب الطريق الصحيح في الوعظ والطريق الخاطئ فيه، وقد فرض الموضوع في هذا النص على المرسل أن يعتمد على الطباق السلبي؛ فجعلت هذه التقنية النص محملاً بمضامين عدة؛ فالفعل أقوى أثراً من القول في مجال الوعظ؛ ذلك أن الناس تقتدي بأفعالنا ولا تأخذ بأقوالنا.

ونستدل على صحة هذه القاعدة بالمثل الذي يتفق والمثل السابق، وهو قولهم «لا تنه عن خلق وتأتي مثله». هـذه فضيلة يحث عليها الإسلام أن تنصح الناس عن الأفعال الدنيئة وأنـت تبتعد عنها، لا تنصحهم بالابتعاد عنها وأنت تقترفها، لذا أتى بالضد لتتميز الأشياء.

ولتتضح لنا هذه النظرية بشكل أفضل نأتي بمثل ورد في القرآن الكريم، وهو قوله تعالى: ﴿وأوفـوا بعهد الله إذا عهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قـوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾«٦٣».

فقد حرص الإسلام على فضيلة الوفاء بالعهود والحفاظ على المواثيق؛ لذلك كان نقض العهد نقيصة؛ لأن الإنسان يحيد بها عن حق الله تعالى وحق عبـاده، وفيه توجيه للناس نحو الحق والخير وأمرهم بالوفاء بالعهد، ونهاهم عن نقض الأيمان؛ فإن عاهد أحد ربه على أن يفعل شيئاً حسناً صار واجباً عليه فعله التزاماً بعهده مع ربه«٦٤».

فالعلاقة واضحة بين الإلزام والتضاد، عليه أن يلتزم بالعهد، ولا ينقضه، فيأتي التضاد ليفسر المراد من الموضوع الأول؛ إذ إنّ النص يحمل موضوعين مترابطين كل منهما يفسر الآخر إلا أن العلاقة بينهما علاقة شرطية يمكن أن يصل إليها المتلقي من خلال السياق.

ومـن الأمثـال التي اعتمدت على العلاقات المختلفة للمصاحبة المعجمية:

أن أصبح عند رأس الأمر أحب إليّ من أن أصبح عند ذنبه»[٦٥].

القناعة غنى المعسر، والصداقة كنز الموسر»[٦٦].

قصر كلامك تسلم، وأطل احتشامك تكرم، فمن قال بلا احترام أجيب بلا احتشام، ومن قال ما لا ينبغي سمع ما لا يشتهي»[٦٧].

أقلل الكلام تأمن الملام، وأحسن العشرة تكف العذرة»[٦٨].

أقبح العي الضجر، وأسوأ القول الهدر؛ فلا تضجر في جدالك، ولا تكثر في مقالك»[٦٩].

كلام كالعسل، وفعل كالأسل»[٧٠].

لقد أحدثت المصاحبات المعجمية الواردة في كل نصّ من النصوص السابقة قوّة في السبك؛ لأنها برزت في جمل متجاورة؛ ذلك أن من صفات الأدب الجيد تلاحم أجزائه، وائتلاف ألفاظه حتى كأن الكلام بأسره من حسن الجوار وشدة التلاحم كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد، فكما تم هذا التلاحم عن طريق التشابه يتم كذلك عن طريق التضاد؛ لأن المعاني يستدعي بعضها بعضا فمنها ما يستدعي شبيهه، ومنها ما يستدعي مقابله، بل إن الضد أكثر حضوراً على البال من الشبيه وأوضح في الدلالة على المعنى منه.

وعلى الرغم من تناقض هذه الألفاظ، إلاّ أنها استطاعت أن تتناسب وتتوافق في سبيل الكشف عما أراده الكاتب، وفي التأثير على المخاطب خلال تمكّنه من اللغة، فشكّلها كيفما أراد، واستعمل الألفاظ استعمالاً متقابلاً مراعياً في ذلك قواعد اللغة التعبيرية، وتؤدي هذه الخاصية إلى التوازن اللفظي والتوازن المعنوي للنص من خلال فواصله المكوّنة له»[٧١].

إنّ هذه الفواصل أدّت إلى تكرار نمطي يأخذ صورة أكثر إيقاعاً، ويولّد تناسباً صوتياً يساهم في الكشف عن الغرض من وضع الخطاب.

الخاتمة:

وبذلك يتبيّن لنا أنّ النصّ تتضافر فيه عناصر متعدّدة ليتمّ الترابط فيه وصولاً إلى الغاية الدلاليّة التي أرادها المبدع، أو تلك التي يكوّنها المتلقي. وتتفاوت هذه العناصر في النصّ نفسه، فبعضها في النص ذاته، وبعضها من خارجه. أما من خارج النص فهناك عناصر مهمّة تسهم في بناء النصّ، وفي فهمه كالسياق «الموقف أو المقام»، والصورة الوجدانيّة، والمكنون المعرفيّ، والإحالة المرجعيّة، والتصوّر الذهنيّ لمحتويات النصّ»[٧٢].

كما يتبيّن لنا أنّ المثل على الرغم من قصره إلا أنّه ضمن مستويات الترابط النصيّ المختلفة؛ ذلك أنّ المثل نصّ قصير تضمّن تعريفات النصّيين المختلفة على الرغم من تباينها وتعدّدها، كما تضمّن المعايير التي وضعها ديبوجراند لنصيّة النصّ.

الهوامش

١ لقد ضمت كتب الأمثال العربية رصيداً ضخماً من الأمثال العربية، مما يتعسر على أي دارس أن يقدم دراسة وافية للأمثال جميعها، إلا أنه يمكن أن يقدم ذلك من خلال عينة من الأمثال تكون أنموذجاً له، لذا فقد رأى الباحث أن يعمد إلى عينة عشوائية من الأمثال العربية الواردة في كتب التراث العربي.

٢ فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة فالح شبيب العجمي، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٩، ص٤٦.

٣ تعددت تعريفات المثل عند الباحثين والدارسين، ولعل ذلك عائد إلى التأثر بالرؤى والمرجعيات التي انطلق منها أصحاب هذه التعريفات، واتفقت كل التعريفات على الصفات التي يجب أن تتوافر في المثل. الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم، مجمع الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، ج١، ص ٧. وأيضاً: ستاف، جبرائيل، القول المثال في الحكم والأمثال «جمع وترجمة»، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٨٦، ص٩.

٤ ستاف، جبرائيل، القول المثال في الحكم والأمثال، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٨٦م، ص٧ – ص٩.

٥ يرى إبراهيم النظام أنه يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية؛ فهو نهاية البلاغة. انظر: الحكيم، أبو عبدالله محمد بن علي، الأمثال من الكتاب والسنة، تحقيق د. السيد الجميلي، ط٢، دار ابن زيدون، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، ص٦. وانظر: الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، مجمع الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، ط٢، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، ج١، ص٧.

٦ نظرية التلفظ هي ترجمة لـ «Énonciation / Enun-ciation »، وهي مجال رحب، ومهم من مجالات التداولية، وقد أرسى دعائم هذه النظرية اللساني المشهور بنفنست Emille Benveniste، حيث رأى أن التلفظ هو تطبيق اللغة في الميدان عن طريق عملية استعمال فردية لها. ويقتضي التلفظ حسب بنفنيست زماناً ومكاناً يتكلم فيهما، وهذه المجموعة من العناصر هي التي تكون «مقام التلفظ». أنظر: جمال، موسى، تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي «رسالة ماجستير»، جامعة الجزائر، الجمهورية الجزائرية، ٢٠٠٨ / ٢٠٠٩م، ص٣٣.

٧ يصبح الملفوظ رديفاً للخطاب يتعامل معه على أنه نشاط قولي يتضمن آثاراً تحيل على فعل التلفظ أي على مقام تواصلي معين.

٨ برهومي، منى، تداولية الأمثال في الرواية المغاربية «رسالة ماجستير»، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، الجمهورية الجزائرية، ٢٠٠٣ / ٢٠٠٤م، ص٥٧

٩ لقد وضع كارل قواعد أربع للانسجام، حور بعضها كومبت، وهذه القواعد هي:

قاعدة التكرار.

قاعدة التطور، والدلالة الجديدة.

قاعدة عدم التناقض.

قاعدة العلاقة، القائمة على التركيب الشرطي والعلاقة السببية والتلازمية في الخطاب.

الناجح، د. عز الدين: مقاربة تداولية لحكمة عطائية: الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ماي ٢٠٠٨م، العدد الثالث، ص٣٣- ٣٤.

١٠ برزت تعريفات متعددة تشرح مفهوم النص بصفة عامة، وأخرى تبرز الخواص النوعية الماثلة في بعض أنماطه المتعينة، وأخرى تحاول أن تبني مفهوم النص من جملة المقاربات التي قدمت له في البحوث السيمولوجية الحديثة. وقد كشفت منهجية البحث وطبيعة النص أن الاتفاق على مفهوم محدد للنص أمر لا يمكن الوصول إليه، ولا يمكن أن تتطابق رؤى الباحثين في فهمهم له، إذ إن كل اتجاه يفهمه وفقا

للمرجعية المعرفية التي ينطلق منها، والطريقة التي يتعامل بها معه. بحيري، سعيد حسن، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ط١، الشركة العالمية للنشر والتوزيع، لونجمان، ١٩٩٧، ص١٠٧. الزنّاد، الأزهر، نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٣م، ص١٥.

١١ «T. Van. Dick» دايك، فان، علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد حسن بحيري، ط١، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١، ص١٤ – ١٨.

١٢ أبو زنيد، عثمان، نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية، ط١،عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م، ص٢٦

١٣ بوجراند، دي، النص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، ط١، عالم الكتب، ١٩٩٨م، ص١٠٣– ١٠٥

١٤ بوجراند، دي، النص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، ط١، عالم الكتب، ١٩٩٨م، ص١٠٦.

١٥ لا تصير الجمل المفردة ملفوظات إلا بعد مرورها بعملية التلفظ، عندها يصبح للعبارة إضافة إلى المعنى الدلالي اللصيق بها معنى آخر يحدده السياق، فالجملة تحيل إلى الجانب الصوري من اللغة، أما الملفوظ فيحيل إلى الجانب الطبيعي والاستعمالي للغة، وإضافة إلى هذا يتحكم المتكلم في اختيار الجملة التي سيتلفظ بها حسب ظروف الاستعمال. الحميري، د. عبدالواسع، ما الخطاب وكيف نحلله، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩م، ص٢٥.

١٦ على الرغم من أن الأمثال قد برزت في العبارة القصيرة أو الجملة المفيدة إلا أنها كانت وما زالت مظهراً من مظاهر العقلية؛ فقد كانت من الطرق الفكرية المهمة لتصوير معاناة الناس وأفراحهم من خلال الواقع الذي يعايشون أو للتعبير عن آمالهم في المستقبل الذي يحلمون.

١٧ يتمثل التوجه الجديد لتحليل الخطاب في ربط الملفوظ «النص» بالمقام، ولهذا يعد المقام من العناصر الأساسية أو من أهم المقاربات في التحليل التداولي. وعلى الرغم من أنه ليس هناك إجماع حول تحديد العناصر التي تدخل في إطار المقام أو السياق، إلا أن نواة المقام لا تخرج عن المرتكزات الثلاثة الآتية: المشاركين في الخطاب participants الإطار الزمكاني «الزماني والمكاني» cadre spatio-tem-porel ٣ – الهدف أو الغاية but

١٨ يقول المبرد: المثل مأخوذ من المثال، وهو قول سائر يشبّه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه؛ فقولهم «مثل بين يديه» إذا انتصب؛ معناه أشبه الصورة المنتصبة، وفلان أمثل من فلان؛ أي أشبه بماله من الفضل، وقال ابن السكيت: المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، شبهوه بالمثال الذي يعمل على غيره، وقال غيرهما: سميت الحكم القائم صدقها في العقول أمثالاً؛ لانتصاب صورها في العقول مشتقة من المقول الذي هو الانتصاب. الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، مجمع الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، ج١، ص٧.

١٩ السابق، ج١، ص٢٩٤ – ١٥٥٥.

٢٠ السابق، ج١، ص٥٢ – ٢١٠.

٢١ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص١٤ – ٢٤٢٧.

٢٢ السابق، ص٣.

٢٣ السابق، ص٢٢١ – ٣٥٤٢.

٢٤ السابق، ص٢٢٠ – ٣٥٣٨.

٢٥ الشايب، أحمد، الأسلوب، ط٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٨م، ص١٨٧.

٢٦ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، مصر، ١٩٦٩ م، ج١، ص٢٠٦.

٢٧ خطابي، محمد، لسانيات النص، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١م، ص٢٤

٢٨ . بو قرة، نعمان، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠٠٨م، ص٣٨.

٢٩ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٢٣٨ – ٣٦٤٢.

٣٠ «آل عمران: ١٦٥».

٣١ عاطف الزين، سميح، معجم الأمثال في القرآن

الكريم، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٦٠٧ – ص٦٠٨.
٣٢ الخويي، أبو يعقوب يوسف بن طاهر، فرائد الخرائد في الأمثال، تحقيق د. عبد الرزاق حسين، ط١، دار النفائس، الأردن، ٢٠٠٠م، ص٤١٣.
٣٣ الماوردي، الإمام أبو الحسن، الأمثال والحكم، تحقيق المستشار الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، ط١، دار الحرمين للطباعة والنشر، قطر، ١٩٨٣م، ص١٣.
٣٤ ركز علم لغة النص «علم اللغة النصي» على ظاهرة الجمل المتوازية باعتبارها إحدى وسائل الربط النحوي الشكلي الهامة فهي تتيح للبنية تماسكاً شكلياً؛ لأن التوازي في حقيقته تكرارٌ إلا أنه تكرارٌ ينصرف إلى تكرار المباني مع اختلاف العناصر التي يتحقق فيها المبنى.
٣٥ الخويي، أبو يعقوب يوسف بن طاهر، فرائد الخرائد في الأمثال، تحقيق د. عبدالرزاق حسين، ط١، دار النفائس، الأردن، ٢٠٠٠م، ص٤١٣.
٣٦ السابق،ص٤١٣.
٣٧ السابق، الصفحة نفسها.
٣٨ السابق،ص٤٢٦.
٣٩ السابق،ص٤٤٥.
٤٠ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢ – ص٢٢١.
٤١ السابق، ص٢٢٠.
٤٢ الشايب، أحمد، الأسلوب، ط٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٨م، ص١٨٧.
٤٣ قال ابن إسحاق: "وزعم ليث بن أبي سليم أنهم وجدوا حجرا في الكعبة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة، إن كان ما ذكر حقا، مكتوبا فيه: من يزرع خيرا يحصد غبطة، ومن يزرع شرا يحصد ندامة. تعملون السيئات، وتجزون الحسنات! أجل، كما لا يجتنى من الشوك العنب". ابن هشام، السيرة النبوية، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١١ه، ج٢، ص١٩.
٤٤ الخويي، فرائد الخرائد في الأمثال، ص٤١٣.
٤٥ الخويي، فرائد الخرائد في الأمثال، ص٤١٣.
٤٦ السابق، الصفحة نفسها.
٤٧ السابق،الصفحة نفسها.
٤٨ التوحيدي، أبو حيان، البصائر والذخائر، ج٢، ص٨٠.
٤٩ علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، ج٢، ص٣٤٩.
٥٠ العسكري، أبو هلال، جمهرة الأمثال، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطاش، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م، ج٢، ص٧٧.
٥١ الميداني، مجمع الأمثال، ص٢٢١.
٥٢ أحمد الشايب، الأسلوب، ص١٨٧.
٥٣ الخويي، فرائد الخرائد، ص٤١٣.
٥٤ السابق، الصفحة نفسها.
٥٥ السابق، ص٤٢٦.
٥٦ السابق، ص٤٤٥.
٥٧ حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ص٢٦٥.
٥٨ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، مصر، ١٩٦٩ م، ج١، ص٢٨٧.
٥٩ ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، ط٤، بغداد، ١٩٩٠م، ج١، ص٢١٧.
٦٠ حسام الدين، كريم زكي، الدلالة الصوتية، ط١، مكتبة الأنجلو، مصر، ١٩٩٢، ص١٤٨.
٦١ أبو الرضا، سعيد، في البنية والدلالة: رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية، منشأة المعارف،الإسكندرية، ١٩٧٧م، ص٣٧.
٦٢ أحمد الشايب، الأسلوب، ص١٨٧.
٦٣ «النحل: ٩١».
٦٤ زين، سميح عاطف، معجم الأمثال في القرآن الكريم، ط٢، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م، ص٥٩١.
٦٥ الميداني، مجمع الأمثال، ص٥٦.
٦٦ الخويي، فرائد الخرائد، ص٤١٣.
٦٧ السابق،الصفحة نفسها.
٦٨ السابق، الصفحة نفسها.
٦٩ السابق، ص٤١٣.
٧٠ السابق، ص٤٢٦.
٧١ عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٤م، ص٢١٧.
٧٢ ديبوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص١٧٣.

المراجع

١ – الشايب، أحمد، الأسلوب، ط٨، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، ١٩٨٨م.

٢ – الزنّاد، الأزهر، نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٣م.

٣ – حسّان، تمّام، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤م.

٤ – ستاف، جبرائيل، القول المثال في الحكم والأمثال، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٦م.

٥ – الماوردي، أبو الحسن، الأمثال والحكم، تحقيق المستشار الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، ط١، دار الحرمين للطباعة والنشر، قطر، ١٩٨٣م.

٦ – ديبوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٨م.

٧- بحيري، سعيد حسن، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ط١، الشركة العالمية للنشر والتوزيع، لونجمان، ١٩٩٧م.

٨ – أبو الرضا، سعيد، في البنية والدلالة: رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٧م.

٩ – الزين، سميح عاطف، معجم الأمثال في القرآن الكريم، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٠ – الحكيم، أبو عبدالله محمد بن علي، الأمثال من الكتاب والسنة، تحقيق د. السيد الجميلي، ط٢، دار ابن زيدون، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.

١١ – الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٩م.

١٢- الناجح، د. عز الدين: مقاربة تداولية لحكمة عطائية: الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ماي ٢٠٠٨م، العدد الثالث.

١٣ – ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، ط٤، بغداد، ١٩٩٠م.

١٤ – الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم، مجمع الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.

١٥- دايك، فان، علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد حسن بحيري، ط١، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م..

١٦ – فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة فالح شبيب العجمي، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٩.

١٧ – حسام الدين، كريم زكي، الدلالة الصوتية، ط١، مكتبة الأنجلو، مصر، ١٩٩٢.

١٨- خطابي، محمد، لسانيات النص، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١م.

١٩ – عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٤م.

٢٠- برهومي، منى، تداولية الأمثال في الرواية المغاربية « رسالة ماجستير» – وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠٠٣ / ٢٠٠٤م.

٢١- جمال، موسى، تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي « رسالة ماجستير»،– جامعة الجزائر، الجمهورية الجزائرية، ٢٠٠٨ / ٢٠٠٩.

٢٢- بو قرة، نعمان، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠٠٨م

٢٣ – ابن هشام، السيرة النبوية، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ.

٢٤ – العسكري، أبو هلال، جمهرة الأمثال، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطاش، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م.

٢٥ – الخويي، أبو يعقوب يوسف بن طاهر، فرائد الخرائد في الأمثال، تحقيق د. عبد الرزاق حسين، ط١،دار النفائس، الأردن، ٢٠٠٠م.